جامعة طنطا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها
شعبة الأدب والنقد

بحث بعنوان

الحجاج المغالطي فى أدب المحتالين (موسوعة أدب المحتالين) للدكتور عبدالهادى حرب أنموذجا

الباحث
أسامة محمد على حسين السيسي

إشراف

الأستاذ الدكتور
محمد السيد أحمد الدسوقي
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المتفرغ
كلية الآداب جامعة طنطا

الأستاذ الدكتور
محمد مشرف خضر
أستاذ مساعد الأدب والنقد
كلية الآداب جامعة طنطا

٢٠٢٠م/١٤٤١هـ

هناك أنواع عدة من الحجاج التي تتمثل في حجاج الإقناع ، وحجاج المغالطة، وحجاج الجدل، وحجاج الاقتناع، وحجاج التداول، وحجاج الخطاب، وحجاج المنطق، وحجاج الحوار. وما يهمنا الحجاج المغالطي بوصفه خطابًا يحمل المغالطة بين ثناياه. فالمحتال يلجأ إلى المغالطة باعتبار أن خطابه لابد وأن يحمل خدع لفظية يوقع بها المتلقي فى شباكه. وفي هذه الدراسة عرضت إلي حجاج المغالطة العاطفية، والمغالطة بالتمويه، والمغالطة بالقوة، ، والمغالطة بالتهديد، والمغالطة بالتجهيل ، المغالطة الاستغلاقية.

تطلبت الدراسة اتباع المنهج التحليلى كونه الأنسب مع هذا النوع من الدراسات لأننا بصدد دراسة موسوعة فلسفية حجاجية تضم بين دفتيها العديد من النصوص التراثية القيمة.

ومن أهم تساؤلات البحث التى حاول الباحث الكشف عنها . ماهى الآليات والتقنيات الحجاجية المغالطية المستخدمة فى خطاب المحتالين؟ وماهي أنواع المغالطات التى وظفها المحتالون فى خطاباتهم. ثم انهيت البحث بخاتمة بأهم النتائج.

تعريف المغالطة ، وسمات الحجاج المغالط :

من المعروف أن الحجاج يهدف إلي الانتصار لرأي معين أو دفاع عن قضية معينة بأنواع كثيرة من الحجج والبرهنة وصحة إستدلال .إلا أنه فى كثير من الأحيان ينحرف عن الأحتكام إلى العقل والأساليب المنطقية مستخدمًا فى ذلك المغالطة والتمويه والتضليل والإيهام والمكيدة فينقلب من حجاج برهانى بأدلة منطقية إلى حجاج مغالط يخرق القواعد العادية بحجج يعتمدها المغالط لاستدراج المخاطب ومن ثم تغليطه.

ويعرفها الشريف الجرجاني بالقول : " المغالطة : قياس فاسد، إما من جهة الصورة أو من جهة المادة وقيل المغالطة مركبة من مقدمات شبيهة بالحق، ولا يكون حقا، ويسمى سفسطة، أو شبيهة بالمقدمات المشهورة، وتسمى مشاغبة "[1].

وعليه فالحجاج المغالطي يعني هذا أن المتكلم يستعمل حججا مغلوطة، أو يوظف خطابا مليئا بالمغالطات من أجل دفع المتلقي أو السامع أو المخاطب إلى الاقتناع، أو تغيير سلوكه تجاه المتكلم المتلفظ . وهكذا يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في

---

(١) الشريف الجرجاني : معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ودبي، دط، ٢٠٠٤، ص ١٨٧.

علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدّد ماهية الخطاب إنما هو(العلاقة الاستدلالية)، وليس العلاقة التخاطبية وحدها : فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطِب)بكسر الطاء(من غير أن تكون له وظيفة (المدّعي)، ولا (مخاطَب) بفتح الطاء من غير أن تكون له وظيفة المعترض "[1]

ومن خلا ل ما سبق نستنتج أن الحجاج المغالط يتصف بكونه[2]:

١) استدلالا فاسدًا يبدو وكأنه صحيح.
٢) مقنعًا سيكولوجيًا لا منطقيًا.
٣) يعمد إلى الغلط المقصود.
٤) يخفي وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية ، بحيث لا تتبين حقيقته إلا بالفحص الدقيق.
٥) يخرق كل أشكال التواصل والحوار ،كما يخرق قواعد الحوار التفاعلي .

والمكدي المحتال فى جميع الأحوال لا يعدم علة يسوقها ، أو حجة باطلة يحتج بها بحيث يلبس الحق بالباطل ، ويكتم الحق وهو عالم به ، وهو يعترف بهذا حين يقول فى المقامة البدوية :

أنا الخزامى سليل العرب　　أذهب بين الناس كل مذهب

وألبس الجد ثياب اللعب　　واستقى من كل برق خلب.[3]

وإذا كانت آليات التغليط اللغوية تنحصر فى نوعين اللفظية والمعنوية فان الآليات غير اللغوية كثيرة ومتعددة ،مما يفسح المجال للمغالط فيتحايل ويضلل ويموه ، وهذه المغالطات غير اللغوية كثيرة الورود فى خطابات المحتالين والمكدين على نحو ما سنعرض:

<u>أولاً : المغالطة العاطفية</u> :

هذا النوع من المغالطة اصطلح لها عبدالسلام عشير بالمغالطة الأنفعالية يعرفها بقوله" نوع من الحجاج يسعى إلى التأكيد على مشاعر الجمهوروذلك بأن يستثير

---

(١) طه عبد الرحمن : اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨، ص ٢٢٦

(٢) ينظر: حافظ إسمياعلي علوي ومحمد أسيداه :اللسانيات والحجاج ،الحجاج المغالط :نحو مقاربة لسانية وظيفية ،عالم الكتاب الحديث ،الأردن ،ط١ ،٢٠١٠م ،ص٢٧٣

(٣) مجمع البحرين:المقامة البدوية .الشيخ ناصيف اليازجي ، دار صادر بيروت،د.ت،د.ط ، ص١٣

إشفاقه أو خشيته أو..وهو بهذا يوجه البناء الحجاجى نحو الحقل الانفعالي الذى يضم المشاعر والأحاسيس والعواطف الداخلية ،كأن يستدر مشاعر التضامن لدرجة يتنازل فيها المخاطب عن أغلى ما عنده ، فيكون بذلك نوعا خاصا من الحجاج يصيب ما لم تصبه الحجج الآخرى المبنية على حقائق موضوعية "[١]

لذا فالمخاطب عليه أن يقبل هذه المغالطة بدون اعمال للعقل باعتبارها احكام مسبقة تؤثر فى الجميع ، وبالرغم من نجاعة الحجة العاطفية إلا أنها لا تقوى أن تمثل حجة قائمة بنفسها "[٢] وهو بذلك يخرجه من نطاق الحجج المنطقية.

ومن أمثلته ما جاء فى المقامة البخارية للهمذاني يقول : **حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحَلَّنِي جَامِعَ بُخَارى[٣] يَوْمٌ وَقَدِ انْتَظَمْتُ مَعَ رِفْقَةٍ فِي سِمْطِ الثُّرَيَّا،[٤] وحِينَ احْتَفَلَ الجَامِعُ بِأَهْلِهِ طَلَعَ إِلَيْنَا ذُوْ طِمْرِينِ قَدْ أَرْسَلَ صِواناً، وَاسْتَتْلى طِفلاً عُرْيَانَاً، يَضِيقُ بِالضُّرِّ وُسْعُهُ، وَيأْخُذُهُ القُرُّ ويَدَعُهُ، لاَ يَمْلِكُ غَيْرَ القِشْرَةِ بُرْدَةٍ، ، فَوَقَفَ الرَّجُلُ وَقَالَ: لاَ يَنْظُرُ لِهَذا الطِّفْلِ إِلاَّ مَنِ اللهُ طَفَّلَهُ، وَلاَ يَرِقُّ لِهذا الضُّرِّ إِلاَّ مَنْ لا يأْمَنُ مِثْلَهُ، يا أَصْحَابَ الجُدودِ المَفْروزَةِ، وَالأَرْدِيةِ المُطْروزَةِ، ..، إِنَّكُمْ لَنْ تَأَمَنُوا حَادِثَاً، فَبَادِرُوا الخَيْرَ ما أَمْكَنَ، فَقَدْ واللهِ طَعِمْنَا السِّكْبَاجَ، وَرَكِبْنَا الهِمْلاجَ[٥] ، وَلَبِسْنَا الدِّيبَاجَ، وَافْتَرَشْنَا الحَشَايَا، بِالعَشَايَا، فَمَا رَاعَنَا إِلاَّ هُبوبُ الدَّهْرِ بِغَدْرِهِ، وانْقِلابُ المِجَنِّ لظَهْرِهِ، ، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلى ما تُشَاهِدونَ مِنْ حالي وَزِيِّي ..فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلو غَياهِبَ هذِهِ البُؤُوسِ، وَيَفُلُّ شَبَا هذِهِ النُّحوسِ؟ ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفِقاً وَقَالَ لِلطِّفْلِ: أَنْتَ وَشَأْنُكَ، فقَالَ: ما عَسى أَنْ أَقُولَ ..، وَقَدْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ، مَا لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ اليَوْمِ، فَلْيِشْغَلْ كُلُّ مِنْكُمْ بِالجُودِ يَدَهُ، و ، وَاقِياً بِيَ ولَدَهُ، واذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، وأَعْطُونِي أَشْكُرْكُمْ.،...**"[٦].

---

(١) عبدالسلام عشير :عندما نتواصل نغير ،مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج ،افريقيا الشرق ،٢٠٠٦م ،المغرب ، ص١٦٩

(٢) عادل مصطفى : المغالطات المنطقية ،مرجع سابق،ص٩٥

(٣) بخارى: مدينة في بلاد أوزباكستان بين روسيا وإيران والصين.

(٤) سمط الثريا: سلك الثريا، وهي نجوم سبعة مجتمعة لا تفترق، يعني: أنهم متحابون لا يفترقون كهذه النجوم.

(٥) السكباج: اللحم يطبخ بالخل. الهملاج: الدابة السريعة. الديباج: الحرير. الحشايا: جمع حشية وهي الوسادة.

(٦)المقامة البخارية للهمذانى ص٨٩، موسوعة أدب المحتالين ص٤٧٧

أول ما نلاحظه فى هذا المشهد أنه يضرب على وتر العاطفة فيبكى الناس، ويستدر عاطفهم فيعطونه معتمدًا فى ذلك على عدة مقومات والتى نعدها بمثابة الدوافع المثيرة للمشاعر والعواطف ،وهى أيضًا من أكثر سبل الإحتيال والتملق .

ومن هذه الدوافع : اختياره للمكان (المسجد) والذى يكون فيه الناس أكثر قربًا من الآخرة ، وعلى استعداد للتصدق والبذل والعطاء ، الطفل العريان : الذى يستدر به الشفقة والعطف ،ظهوره بطمرين الذى وصف أهلها بالغنى والسخاء والعطية الظاهرة فى ثيابهم المزخرفة ، حسن اختياره منطقة بعينها (بخاري) فهى بلاد باردة المناخ ،والطفل عريان يرتعد .

هذه العناصر كانت كافية للتأتير فى المشاهدين ، ثم يذكرهم كأنه يضع لهم قاعدة : انه لا يعطف على الأطفال إلا من كان له أطفال ، وحينئذ تسافر أفكارهم إلى منازلهم ، ولزيادة المشهد تأثيرًا يعقد مقارنة بن هذا الطفل البائس وبين أولادهم ، فيرق الحاضرين ويغدوقونه العطاء ، أيضًا يحذرهم من تقلب الدهر ، وزوال النعم ويدعوهم للحفاظ عليها بالتصدق والرحمة .[1]

كما أنه استخدم أسلوب التحضيض لإثارة نخوة الكرم فيهم بعبارات جزلة مثل (فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلو غَياهِبَ هذِهِ البُؤُوسِ، وَيَفُلُّ شَبَا هذِهِ النُّحوسِ؟) فالجمل طلبية، فإذا كان الطلب رفيقاً هيناً فهو عَرْض، وإذا كان الطلب شديداً فيه حَث وتحريض فهو تحضيض والحضُّ في اللغة: هو الحث والطلب بقوة ، وهو التحريض على فعل شيء والترغيب فيه والحثُّ عليه حقاً قوياً. وكما أسلفنا فالموقف لا يحتمل غير البذل والعطاء ف(أبو الفتح السكندري) وفر العناصر النفسية لاستخراج الدراهم من الجيوب ببراعة وحبكة درامية ، إلا أن الدكتور عبد الهادي حرب أخذ عليه عدم التذكير بالله وثوابه وعقابه ، وحث القرآن على الصدقات والرحمة ، ولو أنه فعل ذلك وذكر بعض الآيات القرآنية أو حديث شريف لكان الموقف أكثر تأثيرا فى المتلقين .

ثانيًا : <u>المغالطة بالتمويه</u> :-

المكدون والمحتالون قد اختاروا أسلوب التمويه والمكيدة ليعيروا عن أوضاعهم السيئة ،وانتهجوا مسالك مختلفة كالكدية والتسول والاحتيال والتطفل والسرقة إن اضطرهم الأمر . كل ذلك بهدف الحصول على المال أو الحصول على الطعام.

---

(١) **ينظر: موسوعة أدب المحتالين ص ٤٧٧:ص٤٧٩ بتصرف.**

هذا يجعلنا نقف موقف الحائر من أمرهم ،الراصد لحركة الرحالة المتنقل من بلد لآخر هكذا نحن أمام المغالطة التى تشبه حال هذا الرحالة الذى لا يعترف بالحدود . والذى لا يستقر على حالة .فأينما سنحت له الفرصة للكلأ والماء اتخذ موطنًا جديدًا . كذلك المغالطة تارة تتجلى في الخطاب ، وتارة تنتقل إلى المتلقى فى حد ذاته ، وتارة أخرى تخرج من حيز المتكلم والمتلقى لتنتقل إلى الواقع المعايش المشترك بين الاثنين.

وتأتى المغالطة بالتمويه على ضروب منها :-

١) الغموض فى المعنى :

اللغة هي بوابة الدخول إلي فضاء النص، وهي وحدها وسيلة التواصل بين القارئ والمبدع ، بل هى أرقى وسائل الاتصال بينهما ، والعمل الأدبي تكمن جمالياته بما يحققه من انزياح على مستوى اللفظة والعبارة والصورة والرمز ، ولكن عندما يكون هذا الانزياح غريب الألفاظ مبالغ فيه يصبح مستهجن . ولا يحقق الغاية التى وضع من أجلها ، ومثل هذه الالفاظ والتراكيب الغريبة يلجأ إليها المحتال كنوع من المغالطات غير المنطقية .

هذه المغالطات تعود إجمالاً إلى الالتباس بمختلف مستوياته ، والالتباس من مسلمات الخطاب الطبيعى ،والذى يعتبره طه عبد الرحمن مزية فى الخطابات الطبيعية وليس عيباً فيها ،لأنه يكسبها الطواعية الكافية التى تستجيب لأغراض التبليغ التى لا تحصى . وفى هذا الشأن يلجأ المغالط إلى خدع الاستدلال التى تحجبها اللغة ،بوصفها نسقًا مولدًا للالتباس. (١)

نفهم من ذلك أن الحجاج يقوم بصفة أساسية على ظاهرة الالتباس والغموض بوصفه يشكل مناخا ملائما وتربة خصبة للحجاج ف" هذا الالتباس الذى لا نجد له نظيرا فى غيره من طرق الاستدلال ، ولولا تضمن الحجاج هذا الالتباس لم تميزت طريقته عن البرهان ، فهذا الالتباس هو الفاصل بين الحجاج والبرهنه"(٢)

وهذا النوع من الالتباس والمغالطة يكثر فى المقامات بأن يأتى المكدى المحتال بكلمات غريبة غير مألوفة عند العرب ، ومن خلال الحالة النفسية والموقف الذي يسيطر عليهم يتوهم المتلقى وجوب البذل والعطاء ؛ والأعرابى يأنف بنفسه عن

(١) ينظر: حافظ إسمياعلي علوي ومحمد أسيداه :اللسانيات والحجاج ،الحجاج المغالط :نحو مقاربة لسانية وظيفية ،عالم الكتاب الحديث ،الأردن ،ط١ ،٢٠١٠م ،ص٢٧٤

(٢) طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان ، مرجع سابق ، ص٢٢٩،ص٢٣٠

موقف الذل والاستجداء بصفة عامة ، ونجد ذلك الموقف يختلف مع الأمراء والملوك لأنه لا يجد حرجًا منه لأنهم مسؤولون عن الرعية ، فلا بأس من سؤالهم .وبعضهم الأخر يلجأ إلى المساجد التى تغص بالناس فيعرض هناك بضاعته ويقدم شكواه ملتمسًا فى ذلك الربح معتمدًا على الإغراب فى المعني واللغة التى يستخدمها ولعب الألفاظ.

ومثال ذلك خطبة الأعرابي المسترفد في المسجد الحرام قال القالي في أماليه: حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: أخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا أبو زيد قال: **بَيْنَا أنا في المسجد الحرام إذْ وَقَف علينا أعرابي فقال: يا مسلمون إنَّ الحمدَ لله والصلاةَ على نبيه إني امرؤ من أهل هذا المِلْطاط[1] الشَّرقي المُواصِي أسيافَ تِهامةَ عكَفَتْ علينا سِنُون مُحُشٌ فاجْتَبَّتِ الذُّرَى وهَشَمَت العُرَى وجَمَشَتِ النَّجْم وأَعْجَتِ البَهْمَ وهَمَّت الشَّحْم. والتَحَبَت اللَّحم وأحْجَنَتِ العَظْم وَغادرت التراب مَوْرًا والماء غَوْرًا والناسَ أَوْزَاعًا والنَّبَط قُعاعًا والضَّهل جُزَاعًا والمَقام جَعْجَاعًا يُصَبِّحُنا الهاوي ويَطْرُقنا العاوي فخرجت لا أَتَلَفَّعُ بوَصيده ولا أتقَوَّت هَبيدَه فالبَخَصات وقِعة والرُّكبات زَلعة والأطراف فَقِعة والجِسْمُ مُسْلَهِمّ والنظر مُدْرَهِمّ أعْشُو فَأغْطَشُ وأضْحَى فأَخْفَشُ أُسْهِلُ ظالعًا وأُحزِن راكعًا فهل من آمر بِمَيْر أو داعٍ بخير وقاكم الله سَطْوَة القادر ومَلكة الكاهر وسُوءَ المَوارد وقُضُوح المصادِر."** [2]

أول ما نلاحظه فى هذا النص السابق هو اعتماده على التمويه باستخدام الغريب من الألفاظ مثل (المور– الأوزاع–القعقاع– التلفع– البخصات– الملطاط– أعشو–.....) وغيرها وإن عقل منها القليل ، فالكثير منها لا يعلمه المتلقين لأن أغلب من فى المسجد هم عامة الناس ، فكل مفردة تحتاج إلى شرح وتبسيط وفي هذا استفزاز

---

(١) قال أبو بكر: **المِلْطاط**: أشَدُّ انخفاضًا من الغائط وأوسع منه. وقال الأصمعي: **المِلْطاط**: كل شَفِيرِ نهر أو وَادٍ. والمُواصي والمواصِل واحد. **وأسياف:** جمع سِيف وهو ساحلُ البحر **وعكفت**: أقامت **والسِّنون**: الجدوب **ومُحُش**: جمع مَحُوش وهي التي تَمْحُش الكلأ أي تحرقه **واجْتَبَّت**: قطَعت **وهَشَمَتْ**: كسرَت **والعُرى**: جَمع عُروة وهي القطعة من الشجر **وجَمَشَت**: احْتَلَقت **والنجم**: ما ليس له ساق من النبت **وأعْجَت**: أي جعلتْها عَجَايا **والعَجِيّ**: السيء الغذاء المهزول **وهمَّت**: أذابت والْتَحَبَتْ: عَرَقت اللحم عن العظم وأحْجَنتِ العظْم أي عوّجَتْه فصيَّرته كالمِحْجَن **والمَوْر**: الذي يجيء ويذهب والغَوْر: الغائر وأوْزاع: فِرق **والنَّبَط**: الماء الذي يستخرج من البئر أول ما تُحْفَرُ **والقُعَاع**: الماء المِلح المرّ **والضَّهْل**: القليل من الماء. **والجُزَاع**: أشدُّ المياه مرارة **والجَعْجَاع**: المكان الذي لا يطمئن مَنْ قعد عليه والهاوي: الجراد والعاوي: الذئب والتَّلَفُّع: الاشتمال. والوصيدة: كلّ نسيجة والهَبِيد: حَبُّ الحنْظَل يعالج حتى يطيب فَيُخْتَبَزَ. **والبَخَصات**: لحم باطن القدم وَوَقِعة: من قولهم: وَقِعَ الرجل إذا اشتكى لحم باطن قدمه وزَلِعة: مُتَشَقِّقَة وقَفِعة: قد تَقَبَّضت **ويبست المُسلَهِمّ**: الضامر المتغيّر **والمُدْرَهِمّ**: الذي ضَعُف بصره من جوع أو مرض. قال القَالِي: ولم يذكر هذه الكلمة أحد ممن عمل خلق الإنسان. **وأعشو**: أنظر وأغْطَش: من الغَطَش وهو ضَعْف في البصر وأُسهِل ظَالِعًا أي إذا مَشَيْت في السهولة ظَلَعْت أي غَمَزْت وأُحْزِن راكعًا أي إذا عَلَوتُ الحَزْنَ ركعت أي كَبَوْت لوجهي **والمَيْر**: العطية والكَاهِر والقاهر: واحد وقرأ بعضهم " فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَكْهَرْ." نقلاً عن د/عبدالهادي حرب موسوعة أدب المحتالين ص٨٥،ص٨٦

(٢) ينظر شذور الآمالى للقالى خطبة الأعرابى المسترفد . نقلا عن د/عبدالهادى حرب : موسوعة أدب المحتالين ص ٨٥،ص٨٦.، ينظر: زكى مبارك ،النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ضبط وتقديم عثمان عزال ،دار الكتب العلمية –بيروت د.ت-د.ط ، ص٤٣١

للمتلقي وتحريك لعقله واستثارة لعواطفه ،لان العبارة أو المفردة إذا جاءت عادية يمررها المتلقي دون تدبر،أما إذا حملت فى طياتها الإيغال والإغراب فانها تقرع سمعه ،وتحرك آليات الفهم والتأويل لديه . مما يشتت أذهان المتلقين وتجعلهم ينصرفون عن فهم المعانى الدقيقة ويعيشون الحالة الاستثنائية التى يكون عليها الأعرابى وهى حالة البؤس والعوز وشدة الاحتياج . وهذا ما جعل الرواى يعجب بها يستفسر عن معانيها وينقلها ويتداولها بين النااس من عجيب ما سمع.

أيضا استخدام السجع فى التعبير وهو وسيلة لاجتذاب القلوب لما يضفيه على الكلام من موسيقى فى كثير من المواضع مثل (فاجْتَبَّتِ الذُّرَى وهَشَمَت العُرَى) ،(التراب مَوْرًا والماء غَوْرًا) ، (الناسَ أَوْزَاعًا والنَّبَط قُعاعًا والضَّهل جُزَاعًا والمَقام جَعْجَاعًا) أضف إلي ذلك أنها خطبة يتوجه بها الأعرابى إلى الناس فيحمدوا الله ويصلى على نبيه كما فى الخطابة فيجذب بذلك انتباه السامعين ليحمدوا الله على نعمه ، ويصلوا على نبيهم المختار ، ويتآهبون لسماع الخطبة بكل اهتمام ، مع استخدامه للمحسنات البديعية التى تستميل الجمهور إليها من ذلك المقابلة فى النص متوافرة مثل (أعشو– أضحي) ، (أسهل –أحزن) وهى تزيد المعنى وضوحًا ، والحجة بيانا.، والجناس الناقص بين (آمر– مير)، (مورا – غورا) ،(أوزاعا – قعاعا) ، (الهاوى– الغاوى) ، (وصيدة – هبيدة) له جرس موسيقى تطرب له الآذان

٢)الإطناب والتوسع فى المقدمات[١]:

يكون بالتوسع فى المقدمات وإغراق المخاطب فى سيل من الحجج ،وكم من التفاصيل والجزيئات ،فيتشتت إنتباه ،ويفقد تركيزه ، ولا يستطيع أن يميز المقدمات من النتائج ،ولا ينتبه إلى الفخاخ التى أعدت له ،وتخفى عليه كل مواضع التضليل والتغليط

ومثاله في المقامة الرحبية لليازجى يظهر لنا الحاكم فاسقًا مستهترًا بالغلمان فيذهب إليه السروجي مع غلام جميل يدعي عليه أنه فتك بابنه ،يطلب البينة والشهود ،أو اليمين فيرضى السروجى أن يحلف الغلام اليمين على أن يلقنه الصيغة ،ويضوغ فقرات اليمين سهامًا تصيب قلب الحاكم كقوله :" **والذي زيّن الجِباهَ بالطُّرَرِ. والعُيونَ بالحَوَرِ.**

(١) ترى جماعة بور رويال أننا قد نقع ضحية تغليط حين نقبل أحكامًا تكون فى مضمونها ودلالاتها باطلة لكن وقعت تأديتها بعبارة فصيحة وبديعة . ولا يحصل هذا التغليط لمتلقي الخطاب الفصيح والبديع وحده ولكن ،قد يحصل أيضًا لصاحب هذا الخطاب ومنشئه أيضًا ،إن اللاغى المتصفح المتبدع لا يغرر بالغير فقط وإنما قد يغرر بنفسه أيضًا ،وذلك لان التدليلات المنخرمة والفاسدة فى مضونها ،لكن الفصيحة والمحسنة فى عبارتها ،عادة ما تكون غير مدركة من قبل أصحابها فينخدعون هم بها قبل غيرهم . حمو النقاري: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،سلسلة منشورات ندوات ومناظرات رقم ١٣٤،المغرب ، ٢٠٠٦م ، ط١،ص١٨٢

والحَواجِبَ بالبَلَجِ. والمباسمَ بالفلَجِ. والجُفونَ بالسّقَمِ. والأنوفَ بالشّمَمِ. والخُدودَ باللّهَبِ. والثّغورَ بالشّنَبِ. والبَنانَ بالتّرَفِ. والخُصورَ بالهيَفِ. إنّني ما قتَلْتُ ابْنَكَ سهْواً ولا عمْداً. ولا جعلْتُ هامَتَهُ لسَيْفي غِمْداً. و إلا فرَمى اللهُ جَفْني بالعمَشِ. وخدّي بالنّمَشِ. وطُرّتي بالجلَحِ."[1]

وقد احتال السروجى على القاضي حين نبهه القسم إلى إلي خصائص حسنة فى الغلام بجمل منمقة وعبارات مترادفة ، ووصف زائد ، فصرف القضية إلى وجه أخرى فبعد أن كانت قبلة القاضى إقامة الدليل على القتل أصبح اهتمامه وتركيزه منصب على محاسن الفتى الذى أخذ الشيخ يذكرها ببراعة الخطيب المفوه، فيسلب قلب الحاكم حتى يسول له الطمع أن يخلصه ويستخلصه ،وينقذه من حبائل الشيخ ، فيشير على الشيخ أن يقبل منه الدية على أن يتحملها هو نفسه ويدفع له خمسين مثقلا ،ويعده بمثلها عند الصباح فيقبل الشيخ ،ويقع القاضى فى الفخاخ المنصوبة له وتنجح المكيدة.

٣) التلاعب بالألفاظ والتراكيب اللغوية :

التلاعب بالألفاظ أو بالكلمات والتراكيب اللغوية هي تقنية أدبية وشكل من أشكال الذكاء والتحايل حيث تصبح الكلمات المستخدمة هي الموضوع الرئيسي ، والغرض منه في المقام الأول التأثير المقصود فى المتلقى وتتضمن أمثلة التلاعب بالألفاظ الجناس، ، المزيج الصوتي والمعاني الغامضة، والبلاغة الخطابية ، والجمل الغريبة و القلب والتسريح من فنون علم البديع وغيرها.

ولعل من قبيل الاحتيال الأدبى ما عرضت له مقامات الحريري من نماذج الألغاز والألعاب اللغوية التى تلفت الأنظار ، فلم تعد اللغة فى هذه المقامات أداة تعبير فحسب ،وإنما أصبحت رموزًا معقدة غاية التعقيد ،لا يستطيع بأن يفك سحرها وألغازها إلا صاحبها ،وهو لم يحل ما عقد إلا إذا حلت له الأكياس.

يلعب هذه اللعبة بالحروف لا بالكلمات فيسوق لنا نماذج نثرية وشعرية فى المقامة التى سماها بالرقطاء إشارة إلى أن أحد حروفها معجم والآخر مهمل يقول:

لمّا حضَرْنا بابَ أميرِ طوسَ. آنَسْتُ أن لا بأسَ ولا بوسَ. فاستَدْعَيْتُ دَواةً وبَيْضاءَ. وأنشأتُ رِسالةً رقْطاءَ. وهيَ: أخلاقُ سيّدِنا تُحَبُّ. وبعَفْوَتِهِ يُلَبُّ. وقُربُهُ تُحَفُّ. ونأيُهُ تلَفٌ. وخُلْتُهُ نسَبٌ.

(١) مقامات الحريري: المقامة الرجبية: دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت ، ، ٩٧٨١م ، ص٨١

وقَطيعَتُهُ نصَبٌ. وغَرْبُهُ ذَلِقٌ. وشُهْبُهُ تأتَلِقُ. وظَلْفُهُ زانَ. وقَويمُ نهجِهِ بانَ. وذهنُهُ قلّبَ وجرّبَ. ونعْتُهُ شرّقَ وغرّبَ [1]:

ولعل المقامة الحلبية كانت أكثر اهتماما باللغويات ،وكان التعليم فيه واضحا بل إن بطلها معلم صبيان ، ومن الألاعيب فى هذه المقامة مما سماة بالمتائيم ومداره على التجانس الخطي بين كل لفظتين ،وحين تعجم الحروف يتضح المعنى المقصود فتقرأ هكذا:

زُيّنتْ زينَبٌ بقَدٍّ يقُدُّ * وتَلاهُ ويْلاهُ نَهْدٌ يهُدُّ**

جُندُها جيدُها وظَرفٌ وطَرْفٌ * ناعِسٌ تاعِسٌ بحدٍّ يَحُدُّ** [2]

ثم عاد إلى نفس هذه اللعبة فى رسالة أخرى في المقامة القهقرية وصفها بأن " **أرْضُها سماؤها. وصُبحُها مساؤها؟ نُسِجَتْ على مِنوالَينِ. وتجلّتْ في لَوْنَينِ. وصلّتْ إلى جِهَتَينِ. وبدتْ ذات وجهَينِ. إنْ بزغَتْ منْ مشرِقِها. فناهيكَ برَونَقِها. وإنْ طلعَتْ منْ مغرِبِها. فَيا لعَجَبِها** " والعكس فى هذه الرسالة بالكلمات وليس بالحروف ،وهى مكونة من مائتى لفظة نستطيع أن نقرأها هكذا "**الإنسانُ. صَنيعةُ الإحسانِ. وربُّ الجَميلِ. فِعْلُ النّدْبِ. وشيمَةُ الحُرّ. ذخيرَةُ الحمْدِ. وكسْبُ الشُكْرِ. استِثْمارُ السّعادةِ. وعُنوانُ الكرَمِ. تباشيرُ البِشْرِ. واستِعْمالُ المُداراةِ يوجِبُ المُصافاةَ. وعقْدُ المحبّةِ يقتَضي النُصْحَ. وصِدْقُ الحديثِ. حِليةُ اللّسانِ. وفصاحَةُ ..**" [3]

نستطيع أن نقرأها من اليسار (وفصاحة اللسان حلية الحديث ، وصدق النصح يقتضى المحبة ، وعقد المصافاة يوجب المداراة ،واستعمال البشرتباشير الكرم ، وعنوان السعادة استثمار الشكر ، وكسب الحمد ذخيرة الحر ،وشيمة الندب فعل الجميل).

٤) الحجاج بالتجهيل [٤]:

هو حجاج يقوم على إفحام المخاطب انطلاقا من تعجيزه على أن يأتي بما ينفي ما سبق تأكيده بالحجة ،ذلك أن المتكلم يؤسس حجته على قاعدة مؤداها : إذا لم تأت بما ينفى حجتى فهو الدليل على أنها صحيحة ،وهى قاعدة تتنافى مع قواعد البحث العلمي التى ترفض الخلط بين غياب الحجة وتوفر الأدلة النافية لها ، فاذا لم

---

(١) مقامات الحريري ، المقامة الرقطاء ، ص٢٠٥

(٢) مقامات الحريري ، المقامة المقامة الحلبية، ص٣٧٥

(٣) مقامات الحريري ، المقامة القهقرية ، ص ١٣٧

(٤) ينظر: موسوعة أدب المحتالين ،ص٦٦٨بتصرف يسير ص٦٦٦،ص٦٦٧.

يحضر دليل ينفى حجة ما ، فليس معنى ذلك أن الحجة صحيحة بشكل مطلق" [١] وعليه يمكن القول بأن مكمن المغالطة يتمثل فى الخلط بين غياب الحجة المثبتة للقضية نفسها .

وقد كثر هذا النوع من المغالطات فى مقامات اليازجى المسماة بمجمع البحرين، وهوضرب من الاحتيال قامت عليه معظم المقامات ، وملخصه أن الشيخ يفاجيء الطلبة بأسئلة غريبة يفحمهم بها ، ولا يحلها إلا إذا حلو الأكياس ،وقد يكون عطاؤه من الأمير كما فى المقامة التغلبية : فقد قلب المقام من الذم إلى مدح. ففيها يلتقي الراوية سهيل بن عباد بالشيخ سجينًا. سمع الأمير قصيدة قالها في ذم الأعراب فحبسه، وقال له: " **يا أشأم من البسوس. أتهجو الأعراب ومنهم أخذنا الشعر والخطاب؟ وعلى كلامهم بُني التصريف والإعراب؟ ومنهم تعلمت الناس الفصاحة واجترأت الكرام على السماحة؟ ..وأمر الأمير بفتى من قضاعة أن يأتيه بأبيات الشيخ، فجاء وأنشد:**

من رام أن يلقى تباريح الكرب
من نفسه فليأتِ أجلاف العرب
يرى الجِمال والجلال والخشب

ما سمع الشيخ ذلك حتى اهتاج عجبًا، وأقسم أن الكلام محرف.،ثم أنشد الأصل

من رام أن يلقي تباريح الكرب
من نفسه فليأتِ أحلاف العرب
يرى الجَمال والجلال والحسب

فسرى غضب الأمير، وأمسك عن التعنيف، وجعل يعجب بذلك التصحيف والتحريف. فقال الشيخ: يا مولاي، حاشا أن أهجو قومي، ومنهم حسبت وإليهم نسبت" [٢]

والكدية فى هذه المجالس مبنية على الاحتيال بالتجهيل كما رأينا فهو يستثير أفكارهم بما يلقيه من أسئلة يهتمون بها ويسعون إليها . وحين تفك المعضلة وجب فك الأكياس والعطاء.

ومن هذا الصنف أيضا الأحاجي أو الألغاز، وهي أسئلة على غير المنهاج المنطقي تحتاج في الإجابة إلي نباهة وذكاء أكثر مما تحتاج إليه من العقل والمعرفة.

---

(١) عبدالسلام عشير : عندما نتواصل نغير ،مرجع سابق ،ص١٦٦

(٢) المقامة التغلبية .الشيخ ناصيف اليازجي ص٧٤

ومـن الألغـاز سـؤال فـي مقامـات بـديع الزمـان هـو: أي بيـت (مـن الشـعر) أولّـه يَغْضَـبُ وآخره يَلْعَبُ؟ وجواب هذا السؤال الملغز: هو قول عمرو بن كلثوم:

كأنّ سيوفَنا منّا ومنهم مخاريقٌ بأيدي لاعبينا!(١)

(لأنّـه يبـدأ بـالكلام علـى السـيوف–وهـى مـن آلات الحـرب – ثـم ينتهـي باللعـب بالمخـاريق ، والمخـراق خرقـة ملفوفـة يتضـارب بهـا الصـبيان) ويـدخل فـي هـذا البـاب كتـب الجـدال والمناظرات والخصومات.

٥) الاشتراك فى اللفظ المفرد:

مـن المغالطـات المرتبطـة بالخطـاب الاشـتراك فـى اللفـظ المفـرد التـى تعـد مـن حجـاج التمويـة ومفادهـا بـأن يركـب المغـالط فـى هـذا الموضـع مـن التبكيـت التنـوع الـدلالي فـى الكلمـة الواحـدة فيعمـد إلـى الانـزلاق مـن مـدلول إلـى آخـر فـى الـدال الواحـد . أو الانـزلاق مـن دلالـة الاسـم عنـد السـامع إلـى دلالتـه فـى ضـمير المـتكلم لايقـاع الـوهم بـأن المعنـى واحد ،أو ما صدق على هذا يصدق على ذاك" (٢)

ومـن أمثلتـه فـي الموسـوعة مـا جـاء فـى المقامـة الاسـكندرانية للحريـري فالسـروجي يمثـل أمـام المحكمـة متهمـا بالخـداع مـن قبـل زوجتـه فقـد خـدعها وخـدع أهلهـا. وقـد كـان والـد زوجتـه قـد آل علـى نفسـه ألا يـزوج ابنتـه إلا مـن صـاحب صـنعه ،فلمـا زعـم المحتـال مـا زعمـه تمـت الـزواج ، ثـم طلبـت منـه أن يعـاود عملـه ليسـتطيع الانفـاق علـى البيـت ادعـى أنـا حرفتـه منيـت بالكسـاد ، فلـم تـر بـدا مـن الاحتكـام إلـى القاضـي الـذى سـأل صـاحبنا أن يدلى بأقواله فشرح نظاما ليكون أبلغ فى التأثير قائلا:

رأسُ مالي سِحْرُ الكَلامِ الذي * منهُ يُصاغُ القَريضُ والخُطَبُ**

أغوصُ في لُجّةِ البَيان فأخ * تارُ اللآلي منْها وأنْتَخِبُ**

وآخُذُ اللفْظَ فِضّةً فإذا * ما صُغْتُهُ قيلَ إنّهُ ذهبُ**

فهَذِهِ الحِرفَةُ المُشارُ إلى * ما كُنتُ أحوي بها وأجتَلِبُ**

فأذَنْ لشَرْحي كما أذِنتَ لها * ولا تُراقِبْ واحكُمْ بما يجِب**

---

(١) معلقة عمرو بن كلثوم ، ينظر موسوعة أدب المحتالين ص٣٤٤

(٢) محمد الناصري كحولي ، الحجاج المغالطي فى أدب الأخبار ، مجلة جذور العدد٤٦ ، ٢٠١٧م ، ص١٣٠،ص١٣١

قال: فلمّا أحكَم ما شادَهُ. وأكملَ إنشادَهُ. عطَفَ القاضي إلى الفَتاةِ. بعْدَ أن شُعِفَ بالأبياتِ. وقال: أمَا إنّهُ قدْ ثبَتَ عندَ جميع الحُكّامِ. ووُلاةِ الأحْكامِ. "[1]

استطاع الرجل أن يقنع القاضي بأن مهنته نظم درر الألفاظ بمدح بها الكرام يعطونه على قدر منازلهم ،وقد فقد سبل الكرام فكسدت صناعته وخسرت تجارته .فهو إذن ليس بمحتال حين ادعى ما ادعاه.

غالط الرجل الشيخ (والد زوجته) فى النص السابق بالانزلاق بكلمة (ناظم درر) بركوب التنوع الدلالي لهذه اللفظة ، فقذ ظن الشيخ أنه بائع لألاء وهوبذلك ضلله فصدقه .وكان بوسع الشيخ أن يتجنب الوقوع فى المغالطة لو أنه أعمل عقله فى المعنى ،وقلب دلالة الكلمة فعرف أنها درر الألفاظ. ؛ ويبدو أن مقامات الحريري تسيطر عليها النزعة الاحتيالية على مدى تسع وأربعون مقامة باستثناء مقامات أربع (الرقطاء والصورية والبصرية والنصيبية) تتكرر شخصية السروجى فى كل مقامة على الرغم من تنوع أدوارها ،وكثرة تلوناتها.

ثالثا : المغالطة الاسغلاقية أو المصادرة على المطلوب:

المصادرة على المطلوب هى التسليم بالمسألة المطلوب البرهنة عليها من أجل البرهنة عليها !! وذلك بأن تفترض صحة القضية التى تريد البرهنة عليها وتضعها بشكل صريح أو ضمنى فى إحدى مقدمات الاستدلال .وأنت بذلك تجعل النتيجة مقدمة وتجعل المشكلة حلاُ وتجعل الدعوى دليلًا ، وهو ضرب من الحجة الدائرية .والاستدلال الدائرى ليس مغالطًا فى صميمه ، ولكنه يغدو كذلك حيثما استُخدم لكى يموه على فشل فى حمل عبء البرهان .وتنجم المشكلة حيثما كانت النتيجة المراد إثباتها مفترضة أصلاً داخل المقدمات التى يتعين على الخصم أن يسلم بها ويبدأ منها "[2] وتأتى المصادرة على المطلوب على ضروب منها :

١) جعل المقدمة فى القياس هى نفسها النتيجة :

ومثال ذلك ما جاء فى المقامة المضرية لبديع الزمان الهمذانى فى تحليل ما حرم الله :" **يا بنُى ،قد ورد النهى عن الخمر صرفا، وأنا أشربها بالماء ،فلا ينكر ذلك شرعًا ولا عرفًا فاشرب من يميني ،إن كنت على يقينى ،وإلا فلكم دينكم ولى ديني ،**

---

(١) المقامة الاسكندرية للحريري ص٧٢ ، ينظر الموسوعة ص٥٩٥

(٢) عادل مصطفى : المغالطات المنطقية مرجع سابق ،ص٢٥

فجاريته خوفا من شر شيطانه الرجيم ،وقرأت (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم) سورة النحل الآية ١١٥. [١]

غير أن الحجة هنا لم تثبت لنا أن الخمر حلال شربه بالماء .وكل ما فعلته أنها صادرت على المطلوب . وكررت النتيجة فى المقدمات دون التفات للمقدمة المحذوفة فى هذا القياس المضمر وهى إقرارة بحرمة شرب الخمر على المسلمين ،لكنه يشربها بالماء ولا يخالف ذلك الشرع ،مما يجعل المتلقى يسلم بهده المقدمة خوفًا من شيطانه الرجيم ،ليصل فى النهاية إلى جواز شرب الخمر بالماء .

وخير مثال على ذلك ما جاء فى رسائل بديع الزمان الهمذانى التى دارت حول المديح والشكوى والوصايا ،والأمور الشخصية ،ولم تخل من الكدية الصريحة ،وقد صورت بمبناها ومعناها صورة للبديع وصورة لعصره . ونراه فى بعض رسائله يذهب إلى أن الامتداح نوع من التجارة ،وان المدحة يجب أن تقابها المنحة ،يقول من رسالة أرسلها إلى رئيس هراة " **فليستفتح كل منا صاحبه بما عنده ،فأبعث بما عندي وهو المدحة ، ليبعث بما عنده وهو المنحة ،وها هو قد أوردت سلعتي ، فليصدر خلعته ، وقد أنفذت ،وإذا أنفذت أخذت** "[٢]

فالمقدمة هى نفسها النتيجة مفادها صيغة إلزامية بوجوب المنحة والعطاء (فليستفتح كل منا صاحبه) فالحجة هنا لا تفيد البرهنة على القضية المنوطة بها لذلك تعد منزلقا للوقوع فى شراك المغالطة بالمصادرة على المطلوب مباشرة ،وليس هناك مجال للنتائج لأنها حلت محل المقدمات مع استخدامة الفاء لسرعة ارسال المنحة والعطاء كمقابل للمدح والثناء.

كما استخدم ألفاظ مشحونة والتى تعد بوصفها فخاخ مطوية فى ثناياها على الزام مضمر مثل (استفتح،ابعث،المدحة،المنحة) فهذه الألفاظ هى نفسها بمثابة مصادرة على المطلوب فى ثوب الحجة الدائرية. وتأتى المغالطة حين يستخدم المجادل ألفاظًا مشحونة بدلا من الحجة ،أو حين يتأثر المتلقى باللغة الملونة التى تغلف بها الحجة بدلا من أن يلتفت إلى مناقب الحجة ذاتها [٣]

(١) ينظر: موسوعة أدب المحتالين ص٦٧٤

(٢) الرسالة رقم ٤٣ كشف المعانى ص ١٧٩-، ١٨٠نقلا عن: موسوعة أدب المحتالين ص٣٩٧

(٣) ينظر: عادل مصطفى :المغالطات المنطقية ،مرجع سابق ،ص١٢٥

ومن طرق الاحتيال التى يتبعها المكدي على من ينبغى ألا يجوز عليهم الاحتيال ، وهم أهل الحكم والقضاء كما ورد فى مقامات الحريرى ، فبطل مقاماته السروجى يتلون بكل لون وشخصية ليحبك مكيدته حتى على أهل القضاء أنفسهم " ففى المقامة الصعيدية يدخل الشيخ ويزعم للقاضي أن له خصمًا ،وحين يحضر يزعم الشيخ أنه ابنه ولكنه عاق " **إن شرق والده غرب ، وإن أعجم أعرب ،وإن أقدم أحجم** " ويكبر القاضي هذا العقوق ،ويطلب من الابن أن يدلى بأقواله فيزعم أنه بار به ،إن دعا أمن ،وإن ادَّعى آمن ،إلا أنه قد كلفه حين صفرت يده من المال بما لا طاقة له به ؛ كلفه بالآستجداء والسؤال مع أنه هو الذي قدمه ذم بأبيات لقنه اياها أيام التحصيل ومنها :

واصب على ما ناب من فاقة صبر أولى العزم وأغمض عليه

ولا ترق ماء المحيا واو خولك المسئول ما فى يديه

ويحتد الأب فيصرخ فى وجه ابنه ، ثم يعاودة السكون فيقول له إن الضرورات تبيح المحظورات ، وإن السؤال مذموم إن اتخذ صناعة وتجارة ،أما المضطرون فلا حرج عليهم فى ذلك ولا اثم ، ثم يذكر ابنه بأنه قد قال ردا على أبيه أبياتا أباح فيها السؤال والاستجداء ، ومنها هذا البيت :

وإن رددت فما فى الرد مقصة عليك قد رد موسى قيل والخضر

وحين يسمع القاضي كلام الشيخ يعنف الغلام على تباين قوله وفعله ،ويأمره بطاعة والده مادام قد وافق مذهبه ولكن الغلام يتمسك برأيه ويحتج بفقد الكرام الذين يثيبون على الشعر ،ويقع القاضي فى الفخاخ ،فيندفع الشيخ بمدح القاضي ليشعر الغام ببطلان مذهبه على هذا النحو:

يا أيها القاضي الذي علمه وحلمه أرسخ من رضوى

قد ادعى هذا على جهله أن ليس فى الدنيا أخو جدوى

وما أدرى أنك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى

فجد بما يثنيه مستخزيا مما افترى من كذب الدعوى

فيكرم القاضي الشيخ ويلوم الغلام ويتوعده بالعقاب لو عاد إلى العقاق وينصرف **المحتالان ظافرين.** [1] ولعلنا لا حظنا من عرض المقامة طريق الاحتيال

(١) ينظر: عبدالهادى حرب :موسوعة أدب المحتالين ص٥٩٣،ص٥٩٤

التى يسلكها المكدي ، باستخدام الذكاء والدهاء ،إنه يخترع حيلًا توافق مقام الحاكمين ،ويخترع الخصومة ، ولا يأتى بخصم غريب ،وإنما يأتى بولده على نحو ما رأينا.

ويعمد إلى الاستدلال المنطقي فقد عمد الشيخ إلى استدراج القاضي إلي النتيجة التى يريدها فغالطة بالمصارة على المطلوب نفسه فى بناء القياس ، ولم يفطن القاضي إلى الفخاخ المنصوبه له فأقر بالنتيجة واستمال برأيه ناحية الشيخ معتمدًا فى حكمه على الأمارات الخارجية للقضية [1]،وانتهز الشيخ الفرصة لتطبيق النتيجة على القياس ذاته إلى درجة الإقناع .

(الحجة الباطلة والدليل الفاسد):

يكثر هذا النوع فى مقامات بديع الزمان الهمذانى كما جاء فى المقامة الهزلية يرى بطل مقاماته أنه مسخر لهذا العمل مفطور عليه فهو ينفذ مشيئة الله ، فمن اعترض على ذلك فقد كفر يقول :

خلقتُ مطبوعا على كيد البشرْ وليس للإنسان تغييرُالفطر
ولا يعاند القضاء والقدر إلا الذى عصى الاله أو كفر[2]

بطل مقامات الهمذانى (أبوالفتح السكندري) يبنى قضية مفادها :أنه مسخر لهذا العمل مفطور عليه ويقصد (كيد البشر) .فهو بذلك ينفذ مشيئة الله ، فمن اعترض على ذلك فقد كفر . فيكون بذلك قياسه باطلا ، وهذا ضرب المصادرة على المطلوب بتقديم الدليل الفاسد بجعل ما ليس سببا للنتيجة على أنه نتيجة .معللاً سلوكه الخاطئ مع الناس نتيجة طبيعية أودعها الله تعالى به وليس صفة مكتسبة وصفة ذميمة فيه.

ولم يخل الأمر من التجاوز والمغالطة حتى فى أمور الدين فيقول حين يتسبب طبه فى موت مريض فى المقامة الشامية "**جردَت المبضع والمشراط وسأستغفرالله لي ولهم إذا وقفنا على الصراط** " ويزعم أن قتل البشر راحة لهم من العذاب لأن العمر إذا قصر قلت فيه المعاصي:

لا خير فى الناس دعني أفتك بهم يا فلان

---

(١) وأما الأمارات الخارجية ،حسب جماعة بور رويال ،أمارات عائدة إلى حجية من ادعى وقضى به وأمارات راجعة إلى الكيفية التى تم بها الادعاء والقضاء . حمو النقاري: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،سلسلة منشورات ندوات ومناظرات رقم ١٣٤،المغرب ، ٢٠٠٦م ، ط١،ص١٨٤

(٢) ينظر:: موسوعة أدب المحتالين ص٦٧٤

فليس فيهم رجاء وليس منهم أمان

ياليت ألف طبيب مثلي يسوق الزمان

فكلما قصر العيش يقصر العصيان

فخف عنهم العذاب ال أخرى وقل الهوان [١]

يقدم الدليل الفاسد والبرهان الغير منطقى وهو الفتك بالناس ، ويجعل عجز طبه عن علاج المرضى بل يؤدى بهم إلى الموت هو سبب لراحتهم لأنه كلما طال العمر زادت المعاصى لذا فالموت هو السبيل لقلة المعاصى .

٢) تكرار القول نفسه بصيغة أخرى أو بعبارات متشابة المعنى:

نجد اليازجى صاحب (مجمع البحرين) يصف بطل مقاماته "ميمون بن حزام" معبرًا عن فصاحته يقول :" **إذا انبرى لا يبارى ،وإذا جرى لا يجارى ،وإذا حدث ترى الناس سكارى** "[٢]

تتظاهر هذه الحجة بأنها تبين السبب عن مدى فصاحته وقدرته على الجدال والبرهنة ،غير أنها ليست أكثر من من تكرار للقول نفسه بصيغة أخرى ، ولا تعدو فى نهاية التحليل إلا أن نقول أنه بارع فى القول والجدل لأنه بارع فى القول والجدل .

٣) الاستدلال الدائرى :

يعد الاستدلال الدائرى مغالطة لنفس السبب الذى يجعل المصادرة على المطلوب مغالطة وهو أن يقدم لنا دليلا مستقلا عن الدعوى ذاتها ، وأنه يفشل فى أن يربط لنا ما هو غير معروف أو غير مقبول بما هو معروف ومقبول ....وكل ما يفعله الاستدلال الدائرى أن يقدم لنا مجهولين (أو أكثر) كل منهما مشغول بتعقب ذيل الآخر ! بحيث لا يتسنى له أبدا أن يصل نفسه بالواقع "[٣]

تشترك ليلى العنصر النسائى فى مقامات اليازجى معهم فى الاحتيال فى بعض المقامات كما فى العبسية حين يقف الشيخ خطيبا فى بنى عبس ويشكو عقوق ولده الذى يقسم أن والده مدَع ،تقوم ليلى لتقول :

هذا البريدى أبوالعباس قد كان بين الناس كالنبراس

---

(١) ينظر: موسوعة أدب المحتالين ص٦٧٣ ، ص٦٧٤

(٢) ناصيف اليازجى :مجمع البحرين ص ٢٦٣ ينظر: موسوعة أدب المحتالين ص٦٥٨

(٣) عادل مصطفى : المغالطات المنطقية ،مرجع سابق ، ص٣١

يحف بالقيام والجلاَّس مازال بين طـاعم وكـاس

مكلل الجفان صافي الكاس حتى دهته ضربة فى الرأس

فصار من شدة ما يقاسي يُكلف ابنــه ســؤال الناس

وتلك دعواه بلا التباس

فيكون هذا الرجز تمهيدًا لشكوى الغلام ولدفاع الشيخ ثم ما يلبث القوم أن يرقوا لهما ويتصدقوا على الشيخ بذود وعلى الفتى بعود ،وحينئذ تغضب الفتاة وتقول :

نلوم الزمان إذا ما أخل بتسوية الرزق فى أهله

وها نحن نفعل فعل الزمان فكيف نلوم على فعله؟!

قالوا :صدقت أيتها الحرة ،لقد حقَت لك المبرة ،وجبروا قلبها بشيء من المال ،فانقلب الجميع بحسن المآل"[1]

نلاحظ فى النص السابق وضوح الاستدلال الدائرى من خلال شكوى الشيخ ابنه عقوق والديه ، ثم ينكر الابن ذلك ويقسم أن أباه مدَّع ، ثم تقوم ليلى لتصف لنا الواقعه فالشيخ كان علمًا بين الناس إلى أن جائته نوائب الزمن وأصابه الإفلاس ، فأصبح من شدة فقره يجبر ابنه على سؤال الناس ، فيتأذى الفتى من هذا الفعل ويتعفف عن سؤال الناس وهو بذلك عاق لوالده ، فيبدو الاثنان الشيخ وابنه محل شفقة واحسان ، وبذلك تدور الحجة أو الدليل فى دائرة مغلقة ،وتعتمد فيها كل قضية على الأخرى .وقد تطول السلسلة أكثر من ذلك أو تعتمد البرهان الأخير على البرهان الأولى فتتعلق السلسلة ولا يتوافر خارج هذه الدائرة دليل مستقل عنها.

فى ضوء ما سبق نستخلص أن الاستدلال الدائرى ليس بالضرورة أن يكون مغالطة .لكن الأمر كله يتوقف على الحجة وعلى درجة الثقة التى كان يوليها للمسألة المراد البرهنة عليها . مما جعل الدكتور عادل مصطفى يعدها مغالطة تداولية يقول:" يمكننا بتعبير تقنى أن نقول إن المصادرة على المطلوب أو الحجة الدائرية هى "مغالطة تداولية" أى قصور يتعين تقييمه بالنظر إلى الطريقة التى استخدمت بها الحجة فى سياق حوارى معين "[2] ومعنى ذلك أن السياق الحوارى يحدد لنا هل هذه

---

(١) ينظر : موسوعة أدب المحتالين ص٦٦١،ص٦٦٢

(٢) عادل مصطفى : المغالطات المنطقية ،مرجع سابق ، ص٣١

الحجة تؤدى وظيفتها البرهانية فتصبح حجة ودليل صالح لتداوله ،أما إذا لم تستطع أن تؤدى وظيفتها المنوطة بها فهى بذلك مغالطة صريحة .

٤) السرعة فى الخطاب بالمصادرة على المطلوب[١]:

يعمد المغالط إلى السرعة فى الخطاب .فلا يتمثل السامع ما يقال له ويعسر عليه الوقوف على مواطن التغليط ،فلا يفطن لتناقض المقدمات أو فساد الأقيسة أو تضارب النتائج .

ومثاله ما ورد في الموسوعة نموذج من أدب الطفيليين حيث يعمد المكدي المتطفل إلي وليمة بدون دعوة ،فترمقه عيون القوم متسائلين من يكون هذا الشخص المتطفل يقول :"**من تكون- أعزك الله -؟ فقال أنا أول من دعى إلى هذا الحق ،فقيل له : وكيف ذاك ونحن لا نعرفك ؟! فقال : إذا رأيت صاحب الدار عرفني وعرفته نفسي ، فجيء به إليه ، فلما رآه بدأه بأن قال له: هل قلت لطباخك أن يصنع طعامك زائدا على عدد الحاضرين ،ومقدار حاجة المدعوين ؟ قال : نعم .قال : فانما تلك الزيادة لي ولأمثالي ..وهي رزق لنا أنزله الله على يدك وبك ،فقال له :كرامة ورحبا ،وأهلا وقربا ! والله لا جلست إلا مع علية الناس ،ووجوه الجلساء** "[٢]

وهكذا نرى المتطفل كيف يسلك المسالك الخفية ،وكيف يحتال بالطرق العجيبة لدخول المنازل حتى يصبح واحد من أهلها ، ففى النص السابق لا يعطى مجال لصاحب الدار فى السؤال وإنما يبادرة بسرعة بديهة ، وسرعة خطاب بالباقة فرضت عليه مجاراته فى كلامه .وهنا تكمن المغالطة بالمصادرة على المطلوب ،فقد تمكن المحتال المكدي من إقناعة بحجة دامغة لا مجال للتشكيك فيها مفادها قوله تعالى:(وَالَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ * لِّلسَّآئِلِ وَالۡمَحۡرُومِ) [سورة المعارج: الآيتان ٢٤-٢٥]. هذه الحجة جعلته يجلسه مع وجهاء القوم وليس المتطفليين.

رابعًا : الحجاج المغالطي بالسلطة :

يكون ذلك باستخدام السلطة في توجيه الحوار ، ونقصد بالسطة هنا " أن تكون للشخصية المتكلمة – مرسل الخطاب- قدم راسخة وباع طويل فى المجال الذى

(١) محمد الناصر كحولي : الحجاج المغالطي فى أدب الأخبار ،مرجع سابق ، ص ١٢٧

(٢) أحمد بن على القلقشندى (ت٨٢١هـ) :صبح الأعشي فى صناعة الانشا :، شرحه وعلق عليه محمد حسين نجم الدين ج١٤/ دار الكتب العلمية ،لبنان ،بيروت ١٩٧١م ص٤٠٩

يتحدث به . وهذا النوع من الحجاج المعرفي /العلمي يمكن أن يضاف إلى الحجاج المستمد من المكانة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التى يتمتع بها المتكلم "[١]

يفهم من ذلك أن هذا النمط من الحجاج يستمد فعاليته من مكانة المتكلم وشخصيته محاولا أن يكسب نفسه نوعا من السلطة على الخطاب ،وهنا تكمن المغالطة فيه لأن المتلقين قد يعتبروا أن المتكلم فى منزلة من العلو والسمو بحيث يستحيل عليه الخطأ أو التناقض أو التلاعب بعقولهم ، إذ لا يوجد أحد معصوم من الوقوع فى الخطأ والذلل فى هذه الأمور .

أما الدكتور عبدالله صوله يذهب إلى أننا يجب أن نثنى على هذه السلطة حتى نكسبها مصدقية أكبر يقول:" والعادة فى الحجاج أن تكون الحجة بالسلطة الحجة الوحيدة فيه ،وإنما تأتي هذه الحجة مكملة لحجاج يكون غنيا بحجج أخرى غير حجج السلطة ،كما أنه كثيرا ما نعمد إلى الثناء على هذه السلطة قبل استخدامها حجة فى كلامنا .. "[٢]

ولا يتحقق ذلك إلا بشروط خمسة حتى تكون الحجة بالسلطة سليمة وهى :

-" أن تدرك الحجة بالسلطة إدراكا سليما.

-أن تكون للسلطة كفاءة حقيقية ومتمكنة فى مجالها بحيث لا تستند إلى لمجرد الشهرة أو ما شاكلها.

-أن يعتبر جانب التخصص في كل مجال على حدة.

-أن يكون الرأى قائما على دليل يمكن تأكيده أو بالاحرى البرهنة عليه.

-أن تكون هناك تقنية وفاق ضرورية للبث فى الخلافات بين سلطتين أو أكثر.[٣]

وكلما كان الحرص على إعمال هذه الشروط كانت الآراء صائبة ومفيدة ، هذا ويمكن أن نشير إلى أن الكشف عن زيف الاحتجاج بالسلطة، قد يتعدى الكشف عن المغالطة في الجملة والعبارة والنص، ويرتقى إلى أن يكون مشروعا متكاملا .

(١) محمد سالم محمد الأمين :الحجاج فى البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١، ٢٠٠٨م ص١٩٩

(٢) عبدالله صوله: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف الحجاج ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية ،كلية الآداب ،منوبة ،تونس ،د.ت ، ص٣٣٥

(٣) عبدالسلام عشير :عندما نتواصل نغير ،مرجع سابق ص١٦٥

ومن أمثلة الحجاج بالسلطة ما جاء المقامة اليمنية لليازجي فى مقاماته مجمع البحرين ، حيث يقاضي الشيخ غلامه أنه استأجر منه ناقة فى الديار المصرية قال: "**إذا بلغنا اليمن لا أسلمك الزمام، حتى أسلمك الأجرة عن تمام. ... فقال القاضي :ما تقول يا أيها الشيخ في دعواه؟ فضحك حتى استلقى على قفاه .وقال :قد جعلت تسليم الأجرة موعداً لتسليم الزمام، فأنا لا أسلمه الأجرة والسلام. فعجب القاضي لافتنانه .فقال للرجل :نجعلها بين بين، خذ العين، واترك الدين، فويل أهون من ويلين ... ، أشار القاضي إلى بعض غلمانه .وقال له :شيع الشيخ إلى بحبوحة الربع، وخذ منه دينار المنع، فقال الشيخ :أراك أيها الإمام، قد جعلت زادك مخ النعام. ولقد بلوتك لأرى هل تحكم القسط بين الناس، فوجدتك تميل إلى حيث ترجو ثمالة الكأس، أو تجهل إخراج القضايا على مقتضى القياس. فلأهجونك بما لم يهج به قاض من قبل، ولأشكونك إلى من يؤدبك بالعزل، أو تشتري عرضك مني ولي عليك الفضل. فندم القاضي على قضائه الخاسر، وقال :هذا جزاء مجير أم عامر .ثم أقبل على الشيخ وقال :قد فرضت في مالي من الزكاة نصاباً، فخذه وسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً .قال :فلما قبض الشيخ الذهب، نهض وقال لي :يا رجب، خذ من القاضي دينار الأدب .فقال القاضي :إنني بحكمك راض، فاقض ما أنت قاض. فتلقفت الدينار وخرجنا للحين، والقاضي يقول :إن الله لا يضيع أجر المصلحين....**"[1]

فالشيخ القاص متكلما باليغا داهية متمكن فى مجاله وهو ما منحه مغالطة القاضي بما امتلكه من مقومات المحاورة والخديعة. فوعظ وحاجج واحتال على القاضي كما رأينا فى النص السابق عندما طلب القاضي من الشيخ أن يدفع دينار المنع فزعم الشيخ أنه كان يريد اختباره ليرى هل يحكم بالعدل بين الناس فلما تبين له ظلمه هدده بأن يشكوه إلى من يؤدبه بالعزل ، وهنا نصب الشيخ شباكه للوقوع فى المغالطة فقال إلا إذا اشترى عرضه منه ،فاضطره إلى دفع عشرين دينارا ، ودينار لصاحبه سماه بدينار الأدب .ثم فى نهاية المقامة يكشف الستار عن نفسه ويصرح للقاضي بمكيدته .وكانت تلك الأنماط التى استخدمها الشيخ طريقة فى انتاج خطاب مموه ومضلل فى دلالته .

فسلطة الشخص جعلته يقوم بتصرف خاطئ مخالف للشرع وهو يعلم ويعلل لذلك من باب الاضطرار فلا اثم عليه وهذا من المغالطة لاشك .

(١) المقامة اليمنية لليازجي ص٤٢، ينظر موسوعة أدب المحتالين ص٦٦٤

يتضح من هذا أن الخطاب الحجاجي يرتبط بوضعية المخاطب والمتلقي باعتبار " أن الخطاب الحجاجي وهو يعرض فكرة ما ويحتج لها احتجاجا قد يكون صارما دقيقا ،وقد يفتقر أحيانا إلى الصرامة والدقة المنشودتين إنما يهدف إلى إقناع حقيقى " [١]

خامسًا : الحجاج المغالطي بالقوة :

حجاج القوة هو حجاج يسعى صاحبه إلى حمل المخاطب إلى سلوك معين، وقد عرفه عبدالسلام عشير بقوله:" هى حجة تتوجه إلى سلوك المخاطبين قصد تكييفه وفق ما يريده المتكلم أو يعتقده ، ودون أن يخاطب المنظومة الفكرية للمخاطب ، بقصد تغيرها وإحلال انتظام آخر محلها ،بعد حصول اقتناع ذاتى يكون ناتجا عن الأثر السلبى لعملية الحجاج"[٢]

إن حجاج القوة يروم تغيير أو تكييف سلوك المخاطب ،أما الاعتقاد والاقتناع فيغدون أهدافا ثانوية ،فالمحتج بالقوة لا يراعي قناعات المخاطب ولا أفكاره واعتقاداته ،وحججه لا تستقيم منطقيا ،إذ تقتضي الحجة مقدمة أو مقدمتين هى مبادئ أساسية توفر قانون العبور إلى النتيجة ، فى حين أن الحجة فى حجاج القوة تبنى على مقدمات من صنف أفعل – لا أفعل ،لا يمكن أن نخضعها إلى اختبار الصحة والخطأ أو التصديق والتكذيب ، فهي صياغة إنشائية لا تحتمل هذا الاختبار. [٣]

وعليه فالحجاج بالقوة فيه تغيب لملكة التفكير والعقل بغرض تغير الموقف القائم وفرض نظام بديل بالقوة ، ويفعل المخاطب ما أمر به خشية العقاب ، ولا يعنى المتكلم عندئذ إذا كان المحاطب مقتنعا بما تحقق أو لا بل المهم أن يتحقق ما يرى وجوب تحقيقه.

ومثاله ما جاء فى مقامات اليازجى التى كثيرًا ما يتصنع فيها بطل مقاماته الشجار مع زوجته على مرأى من الناس ومسمع ليعطفوا عليهما ، ويبذلوا لهما ، ففى المقامة الدمياطية يمثل (رجب) دور المظلوم ،وتمثل (ليلى) دور الزوجة المسكينة ، ويمثل الشيخ دور الأب المغلوب على أمره ، ويقف رجب خطيبًا فى القوم يشكو سوء معاملة زوجته ، وحينئذ تثور الزوجة وتتهمه بأفحش مما اتهمها به حتى تقول:" ويقذف

---

(١) سامية الدريدى :الحجاج فى الشعر العربي القديم ، مرجع سابق ،ص٣١-٣٢

(٢) عبدالسلام عشير :عندما نتواصل نغير ،مرجع سابق،ص١٦٧

(٣) محمد النويرى : الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج ضمن أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،منوبة ، تونس ،١٩٩٨م ،د.ط ، ص٤١٤

بهجو جرول، ولا يعرف أدب الأخطل ، ولكن قد جرى القلم ،ممن أشبه أباه فما ظلم " وحينئذ يثور أبوه قائلاً : " **أما اكتفيت بفعلك ،مع بعلك ،...ثم اقتحمها فاندفعت ، ورفسها فانصرعت ،ثم قامت فوقعت " فقال الشيخ لصاحبها " طلقها بتاتا ،لا جمع الله لها شتاتا ،وعلي تحصيل ما تخشى الأثقال ،ولو كان ألف مثقال ..**" [١]

نلاحظ فى النص السابق استخدم الحجاج المغالط بالقوة وذلك عن طريق استفزاز الخصم وحمله على الغضب "بأن يركب المغالط هذه القاعدة فيعطل ملكة الإدراك عند السامع ، ويشغل نوازع الغضب والإحراج والسخط ، فتختلط عليه السبل ، فلا يبحث عن مواطن التغليط في خطاب المغالط لتفنيدها وإنما يبحث عن كيفية ردً الفعل ، فيخرج عن موضوع الحوار وآدابه ويظفر المغالط بالخصومة" [٢]

فالشيخ يثور ويغضب بعدما تعرضت له زوجه ابنه بالأهانة ، فيتوعدها ويهددها ولا يكتفى بل يقوم بدفعها ورفسها إلى أن تقع ، وينخدع الحضور بهذه المسرحية ، وتنجح حيلتهم ، وتستدر عطفهم مما يدفعهم للبذل ، فالبرغم من أنه استخدم القوة إلا أنه يرسخ لتحقيق مصلحة اجتماعية ضرورية بعدم نشوز الانثى وضرورة طاعة زوجها ،والتزام الأدب والاحترام مع الناس خاصة كبار السن ومن لهم صله بزوجها.

<u>سادسا : الحجة الشخصية</u> :

تعنى مغالطة الحجة الشخصية أن يعمد المغالط إلى الطعن فى شخص القائل بدلًا من تفنيد قوله ....وأنت تقع فى هذه المغالطة حين تقع هذه المغالطة فى معرض الجدل بمهاجمة شخص الخصم بدلا من مهاجمة حجته ،فيبدو بالتداعى كأن حجته قد دمغت مثله.[٣]

نذكر مثال على ذلك ماجاء فى المقامة الجدلية لليازجى ،حين يستثير الشيخ الناس فيقوم بذمهم ويمدح العلم ، ويدعى فقد الكرام ، فيرد عليه غلامه فى مجادلة طويلة مفادها ماذا قدم له علمه ؟ ،يقول الغلام " **تبًا لعلمك أيها الشيخ الباهل** [٤]**،الذى**

---

(١) ينظر: عبدالهادي حرب موسوعة أدب المحتالين ص٦٧٢، ص٦٧٣

(٢) محمد الناصر كحولي: الحجاج المغالطي فى أدب الأخبار ،مجلة جذور ، العدد ٤٦، ٢٠١٧م ،جدة ،السعودية ، ص١٢٨

(٣) ينظر: عبدالسلام عشير :عندما نتواصل نغير،مرجع سابق ،ص١٦٧

(٤) الباهل: المتردد باطلا بلا عمل ، والمرأة العاهل :التى لا زوج لها ،والفومة :مقدار ما يحمل بين الأصبعين ،والجرول : مقدار ما يحمل فى الراحة ،والشذام :الملح ،والدرمك :الدقيق ،والقضيم جلد أبيض يكتب عليه ،الغدافل :الثياب البالية ،الوارش:المتطفل على الطعام ،الواغل :التطفل على الشراب ، راجع د/عبدالهادى حرب :موسوعة أدب المحتالين ص٦٧٠

بنوه كاليتامى وزوجته كالعاهل ،وماذا ترى علمك إذا كنت تشتهي فُومه من الشذام ،وجرولا من الدرمك ؟ أتأكل القضيم إذا طويت ؟ وتشرب النقَى إذا صديت ؟ وتلبس القرطاس إذا عريت ؟ كان للعلم دولة عند أنماط الكرام ،الذين عندهم لكل مقال مقام ....ولو صح وهمك ،وأصاب سهمك لما برزت بينهم بهذه الغدافل ،ولا قمت فيهم مقام الوارش والواغل "[1]

أول ما نلمحه فى النص السابق أن الغلام ترك القضية الأساسية التى بنيت عليها الجدال مع الشيخ ،وهى مدح المال وأهله ،وانصرف كليةً إلى شخص الشيخ وكأن العلم وحامله تحول برمته فى كيان الشيخ فانهال عليه واصفًا حاله المتردى بعبارات مشحونة تثير الحضور ،مثل (بنوه كاليتامى وزوجته كالعاهل) وهو بذلك يقرر مبدأ فى الحياة بأن الانسان الذى لايملك المال لا فائدة فى وجوده لأن أطفاله يتامى وزوجته دون عائل يكفلها ، ويزيد المسالة سوء عندما يفترض أن ما يزعمه الشيخ ما هو إلا وهم حتى وإن صحت فرضية هذا الوهم وأنه صاحب رسالة سامية لما أوصلته إلى هذا المستوى المتدنى بين وجهاء القوم .والغلام فى كل ذلك تاركًا موضوعه الرئيس وتبنى شخصية الشيخ بالمغالطة الشخصية البعيدة تماما عما قصده وسعى إليه ، وربما تكون هذه المغالطة مقصودة ، وتدفع سامعيها وشاهديها إلى العطف على الشيخ لا سيما حين يستثارون بذكر اللؤم والكرم ،وفضل العلم على المال ؛ ويجب التنويه أن الإهانة بحد ذاتها لا تعتبر مغالطة منطقية ، ولكن إذا أُطلق على الحجة أنها غير صحيحة فقط لأن صاحب الحجة لدية صفة معينة فتكون مغالطة. وتستخدم هذه المغالطة لإضعاف حجة الخصم بدون مناقشة الحجة نفسها.

وما يزال خطاب الحجة الدامغة وخطاب المغالطة خاصة، بحاجة إلي مزيد من الدراسات والتفصيل تتماشي مع أهميته.

أهم النتائج:

– كشفت الدراسة أن المحتال يلجأ إلى المغالطة باعتبار أن خطابه لابد وأن يحمل بين ثناياه خدع لفظية يوقع بها المتلقي فى شباكه ، وخروج المخاطب من شراك هذه المغالطات الحجاجية يتوقف على خبراته الاجتماعية والمعرفية والتأويلية التى يستطيع بها تجنب الإنزلاق فى تلك الخدع اللفظية والبلاغية.

---

(١) ينظر:موسوعة أدب المحتالين ص٦٧٠

– وظف خطاب المحتالين التراث الثقافي العربي الإسلامي في معظم فقراته ، فضمن واقتبس من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة خاصة فى المقامات ، بوصفهما حجج جاهزة غير صناعية تستمد قوتها الحجاجية من مصدرها ؛ وتصدرت الحجة القرآنية والأحاديث الشريفة الحجج التى وظفت فى المدونة؛ أيضا كان الشعر من الشواهد الأكثر ورودا فى خطاب المحتالين بحكم البيئة الاجتماعية والثقافية حيث جاء في المرتبة الثانية كترتيب منطقي لثقافة العصر وما استلزمه خطاب المحتالين من براهين وأدلة وشواهد أكسبته حجاجية قوية فى تحقيق الترجيح والتصديق نحو استماله المتلقى.

المصادر والمراجع:

–حافظ إسمياعلي علوي ومحمد أسيداه :اللسانيات والحجاج ،الحجاج المغالط :نحو مقاربة لسانية وظيفية ،عالم الكتاب الحديث ،الأردن ،ط١ ،٢٠١٠م

–الشريف الجرجاني : معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ودبي، دط، ٢٠٠٤.

– عبدالسلام عشير :عندما نتواصل نغير ،مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج ،افريقيا الشرق ،٢٠٠٦م ،المغرب.

–عبدالله صوله: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف الحجاج ،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية ،كلية الآداب ،منوبة ،تونس ،د.ت

–عبداللطيف عادل: بلاغة الإقناع فى المناظرة ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ،الرباط ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ١٤٣٤هـ

–عبدالهادي حرب : موسوعة أدب المحتالين ، دار التكوين للنشر ، ٢٠٠٨م، دمشق

– سامية الدريدى : الحجاج فى الشعر العربي القديم ، بنيته وأساليبه ، عالم الكتاب الحديث ، إربد ، الأردن ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠١١م

– محمد النويرى : الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج ضمن أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،منوبة ، تونس ،١٩٩٨م

– طه عبد الرحمن : اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م